جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الترجيحات التفسيرية عند الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) في تفسيره (محاسن التأويل)

دراسة تطبيقية

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

من قبل الطالبة
عفراء حكمت حميد رشيد

بإشراف :
أ.د. عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

صدق الله العظيم

(سورة مريم : الآية ٩٦)

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (الترجيحات التفسيرية عند الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)في تفسيره (محاسن التأويل)دراسة تطبيقية) التي قدَّمتها الطالبة (عفراء حكمت حميد رشيد) قد جرى بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية– جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية .

التوقيع

اسم المشرف : أ. د. عمر عبد الله نجم الدين

التاريخ : / / ٢٠٢١

- توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية :

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

أ.د. رعد طالب كريم

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

التاريخ : / / ٢٠٢١ م

التوقيع :

أ.م.د. فاضل أحمد حسين

المعاون العلمي

التاريخ : / / ٢٠٢١م

إقرار المقوم اللغوي

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (الترجيحات التفسيرية عند الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)في تفسيره (محاسن التأويل) دراسة تطبيقية) التي قدَّمتها الطالبة (عفراء حكمت حميد رشيد) الى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . قد جرى تقويمها لغويًا من قبلي.

التوقيع :

اسم الخبير : د. بكر رحمن حميد

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

إقرار المقوم العلميّ

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ (الترجيحات التفسيرية عند الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)في تفسيره (محاسن التأويل)دراسة تطبيقية) التي قدَّمتها الطالبة (عفراء حكمت حميد رشيد) الى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . قد جرى تقويمها علميا من قبلي.

التوقيع :

اسم الخبير : د. عمار حكمت فرحان

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

التوقيع :

اسم الخبير : د. مكي وليد

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التاريخ : / / ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (الترجيحات التفسيرية عند الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)في تفسيره (محاسن التأويل)دراسة تطبيقية) التي قدَّمتها الطالبة (عفراء حكمت حميد رشيد) الى مجلس كلية العلوم الاسلامية - جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية . وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفي ما له علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية بتقدير ( ).

الاسم : أ.د. منشد فالح وادي
التاريخ : / / ٢٠٢١م
رئيسًا

الاسم : أ.د. عمر رحمن حميد
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضواً

الاسم : أ.د. حسين عبد عواد
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضوًا

الاسم : أ.د. عمر عبد الله نجم الدين
التاريخ : / / ٢٠٢١ م
عضواً ومشرفًا

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية-جامعة ديالى . بتاريخ / /٢٠٢١م.

الأستاذ الدكتور
عمر عبد الله نجم الدين
عميد كلية العلوم الإسلامية
/ / ٢٠٢١ م

الإهـــداء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك ... (الله جلّ جلالهّ)

- **إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين.. سيدنا محمد (ﷺ) ..**
- **إلى درعي الذي به احتميت .. وفي الحياة به اقتديت .. والذي شق لي بحر العلم والتعلم .. إلى من احترقت شموعه ليضيء لنا درب النجاح .. ركية عمري .. وصدر أماني وكبريائي وكرامتي .. والدي العزيز أطال الله في عمره ..**
- **إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود .. إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب ... أمي الحبيبة ..**
- **إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي . . إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها .. إلى العقد المتين من كانوا عونا لي في رحلة بحثي ... إخوتي وأخواتي..**
- **إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه .. فكان السند والعطاء .. لن أقول شكرا .. بل سأعيش الشكر معك دائما .. زوجـــي ..**
- **إلى الشيخ العلامة محمد جمال الدين القاسمي (قدس الله روحه)**

أهدي لهم جميعا هذا الجهد المتواضع

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾[1] ، وقال عليه السلام : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[2] ، وقال ﷺ : "من أستعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن أتى عليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فأدعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه"[3] وبعد...

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ولك الحمد يا الله على ما يسرت ولك الشكر على ما وفقت لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت أنت على نفسك، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[4]، وبتوفيق من الله عز وجل وإعانته أنجزت هذه الرسالة فله الحمد والشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لوالدي الكريمين اللَّذَيْنِ لا أستطيع أن أوفيهما حقهما إلا ان أدعو الله أن يكتب لهما خيري الدنيا والآخرة وأن يجزيهما عني خير الجزاء.

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٢ .

(٢) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ين المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) ، حقق أحاديثه وعلق عليه : محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، باب: معونة الرجل أخاه، ٩٩/١.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة : ٦٨/٢، ح ٥٣٦٥، ٩/ ٢٦٦ .

(٤) سورة النمل : الآية ١٩ .

ثم أسدي خالص الشكر والتقدير وفائق الاحترام إلى المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور (عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني) ، حيث تفضل بالإشراف على هذا العمل فقد أفادني بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة وكان صاحب البادرة الأولى في اختيار عنوان الرسالة فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وكذا الشكر إلى رئاسة قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور (رعد طالب كريم محمد) وكافة التدريسيين .

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة لما سيبدون من آراء قيمة خدمة للبحث والباحث ، وإلى كل من أعانني على إنجاز هذه الرسالة.

والله ولي التوفيق

الباحثة

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Diyala
College of Islamic Sciences
Department of Quranic Sciences
and Islamic Education

Interpretive Suggestions of Sheikh Muhammad Jamal Al-Din Al-Qasimi (1332 AH) in his interpretation (Advantages of interpretation)

A Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree master's in Quranic sciences

By

Afra Hikmat Hamid Rashid

Supervised Prof :

Omar Abdullah NajimulDean Al-Kailane (Ph.D.)

2021 A.D. **1442 A.H.**

المبحث الأول

عصـــــــــــــره

المطلب الاول : الحالة السياسية

ان المراد من ذكر الحالة السياسية هو لمعرفة الواقع السياسي الذي عاش فيه الشيخ القاسمي، لذا يجب الوقوف على اهم الاوضاع والادوار السياسية في بلاد الشام وما حولها، بغية الوصول الى اهم المؤثرات التي تأثر بها (رحمه الله) ، فقد عاش القاسمي حياة قصيرة من حيث عدد سنواتها، في فترة ما بين (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، ولكنها كانت اعواما غنية بالعلم والعمل الصالح والنافع، حيث كان الشيخ حريصا على وقته أيما حرص، رغم ان الحياة السياسية كانت شديدة الاضطراب، والاعداء يحيطون بالدولة من كل الجهات، والاضطهاد الداخلي قد اسكت الافواه ووأد الطموحات، والامة العربية تشهد تدهورا وتراجعا في شتى مجالات الحياة، منها المجال الديني الذي يسوده الجمود، وانشغال اهل العلم بالتعصب والتقاليد المذهبية، وتعتبر فترة حياة القاسمي هي فترة تأخر وضعف للدولة العثمانية بشكل عام ، وعاش حينها مرحلتين في زمن الدولة العثمانية، مرحلة السلاطين والتي حكم فيها ثلاثة خلفاء هم عبد العزيز[١] ومراد الخامس[٢] .

---

(١) عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني، استوى على الملك بعد وفاة شقيقه عبد المجيد الأول ١٢٧٨هـ، ومكث في السلطة ١٥عاما حتى خلعه وزراؤه وسائر رجال الدولة سنة ١٢٩٣هـ، وتوفي بعد عزله بـ ٤ أيام. تنظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ : ٥٣٠ وما بعدها.

(٢) مراد بن السلطان عبد المجيد الأول، استوى على الملك بعد خلع عمه عبد العزيز الأول سنة ١٢٩٣هـ، ومكث في السلطة ٣ أشهر، حتى خلعه وزراؤه وسائر رجال الدولة، بعد أن طرأ اختلال في قواه العقلية، توفي عام ١٣٢١هـ . تنظر ترجمته : تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي : ٥٧٩ وما بعدها .

وعبد الحميد الثاني[١] ، واما المرحلة الثانية هي المرحلة التركية والتي تسلم فيها زمام الامور والقيادة الحقيقية محمد رشاد[٢] ، وكانت جميع الولايات العربية ايام الخلفاء الثلاثة المذكورين تعد جزءا من الامبراطورية العثمانية الكبرى ، ولها ما للولايات التركية من حقوق، وعليها من واجبات[٣] .

حكم دمشق على امتداد عمر القاسمي ١٩ واليا اختلفت سيرتهم على ما يبدو عن سير من قبلهم من الولاة الذين كانوا لا يهتمون بغير جمع الاموال ما يمكنهم ذلك لأن الدولة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي اخذت تبعث على الشام بأعظم رجالها يتولونها وكان فيهم المستقيم العفيف عن اموال الناس العارف بأحوال السياسة والإدارة وقد شهدت الشام في عهودهم شيئا من الاستقرار والأمن بالقياس إلى الاضطرابات التي سبقت في العهود الماضية[٤] . فقد دعا الشيخ الى نبذ التعصب والجمود والتقليد، ودعا الى طلب العلم وتخلي العقيدة من الافكار والفلسفات الدخيلة عليها، والسعي الى ارجاع المجد للإسلام، ورفع شأنه، وجعل الحكم السياسي على شؤون الحياة كلها، ودعا الناس للعودة إلى منابع الدين

---

(١) عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد الأول، أستوى على الملك بعد خلع أخيه السلطان مراد الخامس سنة١٢٩٣هـ، خلع سنه ١٣٢٦هـ، توفي سنة ١٣٣٦هـ . تنظر ترجمته : تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي : ٥٨٧ وما بعدها.

(٢) محمد رشاد بن السلطان عبد المجيد الأول، أستوى على الملك بعد خلع أخيه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ، توفي سنة ١٣٣٦هـ. تنظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي : ٧٠٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصره: لظافر جمال الدين القاسمي ، ط١ ، دمشق ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م : ١٥ ، وجمال الدين القاسمي : د. نزار أباظة، دار القلم، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـ : ١٧.

(٤) ينظر : ولاة دمشق في العصر العثماني : محمد كرد علي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد، سوريا – دمشق ، ١٩٤٩م : ٢٢٤/١ ، ومنتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب آل تقي الدين الحصني ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٣٤٦هـ : ٢٦٩/١.

الأولى بصفائها ونقائها، فأنشأ جمعية المجتهدين، وهي جمعية متحدة من اهل العلم المصلحين ممن هم على شاكلته فكونها مع زملائه: عبدالرازق البيطار[١] ، ومصطفى الحلاق[٢] ، وغيرهم، وعملت هذه الجمعية على عقد حلقات دورية لمناقشة وقراءة اهم الكتب، والتباحث في امور المسلمين واحوالهم، وسبل النهوض بهم، وفتح باب الاجتهاد لمن يمتلك القدرة على ذلك، حيث كان (رحمه الله) كثير الاستشهاد بأقوال الأئمة الأربعة للتأييد على أفكاره ، فكان يقول: "إن من يطلع على كتب هؤلاء الأربعة رحمهم الله يرفض التقليد ، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد ، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة ، فكانت النتيجة أن اجتمعت عليه الجموع و لفقوا له تهمة خطيرة يستحق عليها السجن والتعذيب[٣]؟!" .

فقد تعرض القاسمي الى تهمة الاجتهاد، وذلك لان الشيخ القاسمي اسس مذهبا جديدا في الدين اطلق عليه اسم (المذهب الجمالي) وشكلوا لذلك محكمة خاصة مثل أمامها مع لفيف من إخوانه العلماء ، وكان ذلك سنة ١٣١٣هـ وكان عمره حين ذاك ثلاثين عاماً ، ثم اطلقوا سبيله وكانت هذه المحنة سبباً في رفع مكانته وقدره وشهرته وفي ذلك قال (رحمه الله)"وإن الحق ليس منحصراً في قول ، ولا مذهب ، وقد أنعم الله على الأمة بكثرة مجتهديها)" [٤] .

---

(١) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ، أحد أركان النهضة العلمية في دمشق ، ولد بدمشق سنة ١٢٥٣هـ ، وهو حفيد الشيخ محمد بهجة البيطار. تنظر ترجمته: مقدمة كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار : ٩ .

(٢) مصطفى الحلاق : مصطفى الحلاق بن محمد عوده ع ٧ ذ فزا العقيلية فحن فق زقاق الأربعين. تنظر ترجمته: نهر الذهب في تاريخ حلب : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (ت: ١٣٥١هـ)، دار القلم، حلب، ط٢ ، عدد الأجزاء : ٣ ، ١٤١٩هـ : ٢ /٤٤٧ .

(٣) ينظر : جمال الدين القاسمي أحد علماء الاصلاح الحديث في الشام ، ١٢٨٤-١٣٣٢هـ ، دار القلم –دمشق، ط١ ، دار النشر – جدة ٢١٤٦١– ص ب ٢٨٩٥ : ١٧-١٨ .

(٤) محاسن التأويل : ١/ ٢-٤.

"قد يظن من لا خلاق له وبعض الظن اثم ان مراد دعاة الإصلاح العلمي بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوة له على الانفراده والشذوذ عن اقوال الائمة، وإنما المراد إنهاض همم رواد العلم ، لتعرف بها المسائل بأدلتها"[١] .

"وقد نظم شعرًا رائعًا في تلك المحنة نختار منه بعض الأبيات[٢] :

زَعَمَ الناسُ بأنـــي

مذهبي يدعى الجمالي

وإليهِ حينما أُفـــــ

تي الورى أعزو مقالي

لا وعمرُ الحقِ إني

سلفيُّ الانتحـــــــالِ

وقال في هذا المعنى أيضاً :

أقول كما قال الأئمة قبلنـــــا.. ... صحيح حديث المصطفى هو مذهبي

أألبس ثوب القيل والقال بالياً.. ... و لا أتحلى بالرداء المـــــــذهب".

وقد أدت هذه المحنة، والتي كادت أن تؤدي بحياة ذلك الشيخ العلامة: الى رفع قدره ومنزلته بين الناس، وإقبالهم على كتبه ومصنفاته، حتى إنه لما زار مصر بعد ذلك، بعدة سنوات أطلق عليه الشيخ رشيد رضا لقب علامة الشام، وكان وقتها في السابعة والثلاثين من العمر[٣] .

---

(١) الاستئناس لتصحيح أنكحه الناس : محمد جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، المحقق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي ، الناشر: دار عمار – عمان ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦: ٤٤/١.

(٢) محاسن التأويل ١/ ٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق: جمال الدين القاسمي ، مطبعة المقتبس – دمشق، ١٣٢٩هـ : ٤/١.

المطلب الثاني : الحالة الاقتصادية

لقد شهدت دمشق في هذه المرحلة نوعا من الاستقرار في الوضع السياسي والاداري فقد عادت الحياة العامة ، على الرغم ان مدة حياة القاسمي تُعدُّ فترة تأخر وضعف للدولة العثمانية بشكل عام، فالحريات فيها معدومة، والأقلام مغلولة، والعقول مقيدة، والصحافة مكبلة، والأحرار مطاردون، والدستور معلق، والظلم شائع، والعدالة مفقودة، وأعوان السلطان منتشرون في كل مكان يحاسبون على الهمسة، والنظام القضائي تابعا لا مستقلا، والرشوة منتشرة بين موظفي الدولة العثمانية[١] .

بالرغم كل ما ذكر الحياة رجعت وانشغل الناس في العمل، قال محمد كرد علي[٢]: " ومما ينبغي أن يدون في أيامه عبد الحميد الثاني، أن بعض الأمة انصرف إلى الزراعة والتجارة أكثر من الأدوار الماضية قبله في الشام، لان الأمن استتب أكثر من القرن الماضي، وخفت وطأة الأشقياء الذين تتعقبهم الدولة، وطرق المواصلات البحرية والبرية زادت انتظاما، وأخذت الشام تدخل في نظام الأمم الأوربية"[٣] .

بينما عند خلعه من الحكم انعدم الامن والامان وانتشرت الفوضى حتى عجزت الدولة عن السيطرة على هجمات البدو على القرى والقوافل ومن السلب والنهب[٤] .

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي وعصر: ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط١ ، ١٣٨٥هـ : ص١٤-١٥.

(٢) محمد كرد علي : محمد بن عبد الرزاق بن محمد كُرد علي رئيس المجمع العلمي العربيّ (١٢٩٣-١٣٧٢هـ)/(١٨٧٦-١٩٥٣م)، بدمشق، وصاحب أهم المؤلفات (خطط الشام-ط) في ستة مجلدات، (غرائب الغرب – ط) مجلدان. تنظر ترجمته: الاعلام للزركلي: ١٤/٧.

(٣) خطط الشام : ١٢٤/٣.

(٤) ينظر : تاريخ سورية : ٢٩-٣٥ .

قد أنشئ في دمشق وما حولها خطوط حديدية وقد زادت مثل هذه الخطوط في الامبراطورية ، وكان أغلبها خطوطا حربية فقد اتصلت حلب برياق ودمشق ببيروت سنه(١٣١٢هـ- ١٨٩٤م) ، وكذلك اتصلت دمشق بدرعا ويافا بالقدس وحيفا بدرعا وطرابلس بحمص إلى غير ذلك من الخطوط التي انتفعت منها دمشق اقتصاديا ولاسيما الخط الحديدي الحجازي بين دمشق والمدينة المنورة (١٣٢٦هـ-١٩٠٨) الذي كان خطا مهم الشأن تجاريا ودينيا معا ، حتى سهل التنقل بعد ما كان الانتقال على الدواب ووفر الأوقات[١] .

وكان من ابرز الولاة احمد حمدي باشا[٢] ، والذي تولى الحكم مرتين سنة (١٢٨٦هـ وسنة ١٢٩١هـ) ففي عهده قضى على اللصوص وقطاع الطرق وقام بإنشاء المدارس وكتاتيب الابتدائية للذكور والإناث بدمشق وما حولها، ومهد الطرقات لسير العجلات، وبنى عددا من المعابر والجسور على الأنهار الكبيرة، وفي ولايته على سوريا أنشأ المرافئ البحرية في بيروت وعكا واللاذقية وطرابلس ومد بعض السكك الحديدية، وشيد عددا من الأبنية، كدائرة الحكومة في كل من بانياس وطرابلس وبيروت وجنين، ودائرة للعدلية بالشام، وكذلك انشأ مراكز البرق(التلغراف) في كثير من أقضية ونواحي دمشق[٣] .

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي أحد علماء الاصلاح في دمشق : ٣٣/١ .

(٢) أحمد حمدي باشا: الي ولاية سورية بن يحيى بك ابن الوزير ملك احمد باشا، ولد في اسطنبول سنة١٢٤٢هـ، كان نابغا في اللغة التركية وتعلم اللغة العربية والفارسية ، اشغل عددا من الوظائف حتى وصل اعلاها كرئاسة مجلس الشورى للدولة ثم تم الترقي الى الصدارة العظمى وقد تولى حكم عدد من الولايات العثمانية كولاية أيدين والشام وبغداد ، (ت: ١٣٠٣هـ) . تنظر ترجمته : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣ هـ : ١٣٤/١-١٤٠.

(٣) ينظر: علماء دمشق واعيانها في القرن الثالث الهجري: محمد مطيع الحاج ونزار أباظة : ٢/ ٨١٧ ، وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٧٢م : ٣١٢.

ومن الولاة البارزين ايضا إسماعيل فاضل باشا فقد تولى الحكم سنة ١٣٢٧هـ[١] ، فقد عمل على اعمار مدرسة دار المعلمين في فناء التكية وبعدها صارت معهدا للحقوق ثم وزارة المعارف فشهدت دمشق وما حولها تقدما وتطورا ملحوظا، وظهرت آثار ذلك التقدم والنهضة على نواح الحياةَ كافّة [٢] .

لابد من الاشارة هنا ان دمشق اشتهرت منذ القدم بصناعتها المتقنة، كالصناعات المعدنية الدقيقة والسيوف الدمشقية ، والقيشاني المقصود بها (صناعة الخزف) ، وأعمال زجاج الغربيين باسم الدامسكو، وكانت مصانعها في دكاكين صغيرة غالباً حيث العمل يدوي وعدد العمال قليل[٣] .

هذه الصنائع تلاشت وضعفت، فهاجر صناع الدامسكو الى أوربا، وانقرضت صناعة السيوف والقيشاني وزخرفة البيوت فلم يبق إلا آثارها، بينما بقيت صناعة الصياغة والدباغة والحدادة والخياطة والبناء، وانحصرت بعضها في طوائف معينة، وتناقص عدد الصناعات في دمشق من ١٩٦٦ صناعة في عام ١٢٦٩هـ -١٨٥٢م الى ١٣٩٥صناعة عام ١٣٠٧هـ-١٨٨٩م[٤] .

---

(١) اسماعيل فاضل باشا : والي سورية في أواخر العهد العثماني سنة ١٩١١، ولد سنة١٨٥٦هـ، وهو كريتي الاصل تخرج في مدارس العسكرية على الأصول فنال رتبة اركان حرب وبعدها تلقب في فيالق الدولة ولا سيما في صنعاء وأر زنجان وعين ناظرا للمدرسة الحربية فعمل مخلصا في ادارتها ، ثم عين قاعدا لفرقة ازمير، وبعدها عين رئيسا للديوان الحربي في أطنة (أضنة)، ثم عين واليا على سورية. ينظر: حوادث دمشق اليومية، البديري الحلاق : ١١.

(٢) ينظر : جمال الدين القاسمي : د. نزار أباظة : ٢٩-٣١.

(٣) ينظر : تاريخ سورية : ١٤٤ .

(٤) ينظر: تاريخ سورية : ٧٦-٧٩ ، وجمال الدين القاسمي ، احد علماء الاصلاح الحديث في الشام، د. نزار أباظة ، دار القلم -دمشق : ٣٥ .

وقد ازدهرت الزراعة في هذا العصر ازدهارا واضحا وتطورت تطوراً ملحوظاً. فبقيت غوطة دمشق تمد المدينة وما يقرب منها من البلدات بالفواكه ولاسيما القمر الدين والمشمش، وكانت الزراعة المصدر الاساس للثروة في سوريا وكان اكثر من نصف السكان في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين يعيشون على الزراعة، والحاصلات الزراعية كانت تشكل الحصة الاكبر من مجموعة الصادرات آنذاك[١] .

وكانت الحاصلات تتراوح بين الحبوب بأنواعها وخاصة القطن والقمح والزيتون والغابات، وازدهرت بجانب الزراعة تربية المواشي وخاصة الابقار والاغنام والماعز، حتى كان فيها ثروة حيوانية لابأس بها[٢] .

عانى الاقتصاد في ولاية سوريا عموما من فوضى كبيرة في النقود، وذلك بسبب تنوع العملات فيها، اذ راجت جميع انواع النقود الفضية المعروفة كالدولار والفرنك والريال والجنيه والليرة العثمانية الذهبية والمجيدي الفضي والعملات النحاسية وتفرعاتها وغير ذلك من العملات التي تعرضت للخسارات بسبب فقدانها نسبة من وزنها بالاستعمال[٣] .

واخيرا لم تكنْ ولاية سوريا في أواخر القرن التاسع عشر تعاني كثيرا من الضرائب، لكن الحكومة زادتها واحدثت تسميات مختلفة لها، حتى بلغت تسعة أنواع بحيث صارت باهظة ، أرهقت عامة الناس[٤] .

---

(١) ينظر: تاريخ سوريا : ١٠١-١٠٣.

(٢) تاريخ سورية: ٧٠-٧١ .

(٣) ينظر: اعلام المسلمين: جمال الدين القاسمي احد علماء الاصلاح : د. نزار أباظة : ٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ٤٠ وما بعدها .

المطلب الثالث : الحالة الاجتماعية

من خلال ما عرضنا في الحالة السياسية اتضح لنا عدم استقرار الوضع السياسي الذي كان سائدا في العصر الذي عاش فيه الشيخ القاسمي، وايضا الحياة الاجتماعية بسبب اوضاع البلاد الذي كان تحت سيطرة الحكم العثماني، فالحريات مفقودة بجميع أنواعها ، والأقلام مغلولة، والأحرار مطاردون، والدستور معلق، وأعوان السلطان مبثوثون في كل مكان، والجاسوسية تفتك بالأبرياء، والعدالة بين الناس في المجتمع مفقودة لفساد النظام القضائي، وشراء مراكز القضاء.

لذلك اصبحت الحياة الاجتماعية مفقودة، فلم يعرف الناس أي نوع من أنواع الاجتماع إلا في صلاة الجمعة او الولائم ، والسهرات التي كان يسميها أهل الشام (الدّور) . فلا ندوات ثقافية، ولا جمعيات خيرية ولا اصلاحية.

وبالنسبة للمرأة والتي هي نصف المجتمع لم يكن لها أي دور فهي غائبة ، فليس لها نشاط مهم في خدمة وطنها إلا نصيب قعيد البيت ولم تأخذ حقها في التعليم التي اعطاها إياها الشرع[١] .

وفي هذا الجو الخانق العجيب، والجهل السائد في جميع مرافق الحياة، نشأ القاسمي. فكان كالطائر المغني في غير سربه، غريبا عن أهل الزمان، ولعل هذا كله كان أدعى لإقدامه والقناعة برسالته التي تدعو الى نبذ الجهل والتعصب والسعي نحو طلب العلم ، وضرورة العمل لها، والسعي لنشرها، لا يبالي في التفكير بذلك، ولم يكن يبالي من محاكمة ولا حبساً .فثبت لهذه المحن كلها، وأكثر منها، بل لم تزده المواقف إلا قوةً وعزيمةً ويقيناً، حتى يصل الى المثل الاعلى[٢] .

---

(١) ينظر: جمال الدين القاسمي احد علماء الاصلاح : د. نزار أباظة : ١/ ٤٣-٤٤ .

(٢) ينظر: محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ،: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ : ١/١ ، وجمال الدين القاسمي وعصره : ظافر القاسمي : ١٨-١٩ .

المطلب الرابع : الحالة الثقافية والعلمية

انحصرت مدة الحركة الثقافية والعلمية في الشام في اوائل عصر القاسمي، واصبح الناس يبتعدون ويتهاونون بطلب العلم والتعلم، وصار الجهل متفشيا في البلاد، والأمية أصبحت ظاهرة، وكان الذي يعرف الكتابة والقراءة في القرى قله قليلة، حيث كانت تفتقر إلى أشخاص يعرفون قراءة الرسالة والرد عليها[١] .

لذا يعد الوضع العلمي في عصر القاسمي افضل من العصر الذي سبقه بشكل عام وبدأت نهضة علمية ثقافية على المستوى العام التي تتجلى بتأسيس المدارس الحكومية إلا إنه بقي محدودا ومنحصرا والسبب في ذلك يعود إلى سوء الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، فضلاً عن وجود معوقات أدت إلى تأخر الحركة العلمية في المجتمع الشامي خاصة ، منها احلال اللغة التركية مكان اللغة العربية في المدارس العثمانية وقلة الانتفاع بدور الكتب العامة والخاصة فقد كان دخول دور الكتب الى الشام تأخر الى القرن الخامس الهجري، كانت دور الكتب آنذاك نوعين منها العامة التي تلحق بالمدارس لاعتبارها اكثر نفعا، فهي تسد حاجة الطلاب والمعلمين للمراجع مثل ، خزانة المدرسة المرادية[٢] ، وخزانة المدرسة السليمانية[٣]، خزانة المدرسة العبدلية[٤] ، وخزانة المدرسة الاسماعيلية[٥] ، ومنها

---

(١) ينظر: محاسن التأويل : ج٢/١.

(٢) المدرسة المرادية: تقع جنوب المدرسة الظاهرية الجوانية، أنشأها الشيخ مراد المرادي سنة١١٣٢هـ. ينظر: خطط الشام : محمد كرد علي : ١٠٠/٦.

(٣) المدرسة السليمانية: تقع في باب البريد، أسسها الوالي سلمان باشا العظم، سنة ١١٥٠هـ. ينظر: خطط الشام : محمد كرد علي : ١٠٠/٦.

(٤) خزانة المدرسة العبدلية: تفع في سوق السلاح، أسسها عبدالله باشا العظم، سنة ١١٩٣هـ. ينظر: خطط الشام : محمد كرد علي : ١٠١/٦.

(٥) خزانة المدرسة الاسماعيلية: تقع في سوق الخياطين، أسسها الوالي إسماعيل باشا العظم، سنة١١٤١هـ. ينظر : خطط الشام : محمد كرد علي : ٦٧/٦.

دور كتب خاصة ، مثل خزائن كتب آل البيطار ، وآل القاسمي ، وآل عابدين ، وآل المبارك ، وآل العطار ، وغيرهم[١] .

ومع وجود هذا الكم من دور الكتب، إلا أنها لم تقْم بالنهضة العلمية والثقافية اللامة لأهل دمشق وذلك سبب قلة الكتب مقارنة بغيرها من الولايات العثمانية ويرجع السبب في ذلك ايضا إلى ان معظم دور الكتب التي ذكرت موقوفة ولم تحظ باهتمام وعناية ناظريها، فادى ذلك الى قلة انتفاع الناس بها؛ لانَّ كتبها تعرضت للتلف أو بعضها سرقت أو نهبت وبعضها احترقت وبسبب ذلك الامر جاءت مساعي مجموعة من علماء دمشق وعلى راسهم الشيخ طاهر الجزائري[٢] في انشاء دار عمومية للكتب، تجمع فيها آلاف الكتب والمخطوطات التي كانت متفرقة في مدارس دمشق وجوامعها فقام بجمعها في مكان واحد، خوفا عليها من الضياع، وكذلك لزيادة الانتفاع والاستفادة منها، بعد موافقة واليي سوريه مدحت باشا[٣] ومن بعده حمدي باشا[٤] .

---

(١) جمال الدين القاسمي احد علماء الاصلاح : ١/ ٥٠ ، والمصدر نفسه : ٥٧/١ .

(٢) الشيخ طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨هـ،عين معلما في المدرسة " الظاهرية" سنة١٢٩٢هـ تنظر ترجمته: الأعلام : خير الدين الزركلي : ٣/ ٢٢١-٢٢٢.

(٣) مدحت بن حاجى أشرف أفندي، ولد في اسطنبول سنة ١٢٣٨هـ، كان أبوه قاضيا ، تعلم اللغة العربية والفارسية . تنظر ترجمته: الأعلام : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م : ١٩٥/٧. وعلماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة : ٧٤٦/٢.

(٤) حمدي باشا : ولد في إسطنبول سنة ١٢٤٢هـ، كان جده وزيرا وكذلك أبوه، نبغ في التركية وتعلم اللغة العربية والفارسية، تولى عدد من الوظائف أعلاها، كرئاسة مجلس شورى الدولة، ثم ترقى بعد ذلك وتولى عددا من الولايات العثمانية كولاية أيدين والشام والعراق، توفي في بيروت سنة ١٣٠٣هـ. تنظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ: ١٣٤/١-١٤٠، جمال الدين القاسمي: د. نزار أباظة: ٢٩-٣١.

ففي سنة(١٢٦٩هـ) انشئت دار عامة للكتب ، كانت مقر المدرسة الظاهرية واشتهرت باسم (المكتبة الظاهرية) [١] ، وبذلك استطاع الشيخ طاهر اقناع الوالي مدحت باشا بإنشاء جمعية ولكن فكرته لم تتحقق سريعاً؛ لأنَّ مدحت باشا عزل عن الحكم، ولكن الوالي الجديد حمدي باشا تابع الطريق مع الشيخ طاهر ورئيس الديوان ،فأُنشت جمعية شبه رسمية باسم [الجمعية الخيرية]، ومن المعوقات الاخرى، قلة المطابع النافعة، رغم وجود مطابع، الأستانة ولبنان وحلب ، الا انها دخلت متأخرة الى دمشق حتى سنة ١٢ ٧٢ هـ ، وفيها تأسست اول مطبعة وهي مطبعة الدوماني، ومع وجود هذه المطابع، الا انها لم تكن تقم بالنهضة العلمية اللازمة لأهل دمشق ، لان الكتب التي كانت تطبع فيها قليلة ومحدودة جدا وتعد بالعشرات ، وكذلك الابداع العلمي في الكتابة والتأليف قليلا ونادراً[٢] .

---

(١) المكتبة الظاهرية: مدرسة ودار حديث ، تقع داخل باب الفرج والفراديس ، جوار الجامع الجواني، أسسها " الظاهرية الجوانية"، وهي مدرسة للحنفية والشافعية، أنشاها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ . ينظر : خطط الشام : محمد كرد علي : ٨٣/٦.

(٢) ينظر: خطط الشام : محمد كرد ج سته : ١٩٠-١٠٠ -١٠١ ، جمال الدين القاسمي : د.نزار أباظة : ٢٩-٣١ وما بعدها.